الفن الإسلامى

الفن الإسلامى: **أصوله - فلسفته - مدارسه**. كتاب كبير ألفه أستاذ تاريخ الفن بكليتى الفنون الجميلة والآثار الأستاذ أبوصالح الألفى، تكلم فيه عن الحضارات القديمة ومظاهرها ومراكزها وفنونها ومميزات كل.

ولما كانت حضارة مصر، دينية، تحلم بالخلود وتعرف البعث والعالم الآخر فقد قامت فنونها تتهيأ لهذه المرحلة، وتتغيا هذا الهدف الذى وصل إلى مرتبة العقيدة.

يقول الأستاذ أبوصالح الألفى:

(تخطيط المعابد يعتمد على الخط الممتد فى طريق الكباش إلى قدس الأقداس، مارا بالفناء السماوى إلى بهو الأعمدة، يرمز إلى الطريق الطويل الذى يقود الإنسان من الحياة الدنيوية الفانية، إلى الحياة الأخروية الباقية فى رحلة شاقة. يعتمد فيها على الإيمان والإخلاص والوفاء والخلق القويم).

ويقول: (إن ما وصل إليه الفنان المصرى القديم، من قيم عالية من حيث الاتزان والإبداع فى الرسوم والنقوش الجدارية، لم يعتمد فيها على معالجة الخطوط فقط، وإنما اعتمد أيضا على توزيع المساحات والقيم الضوئية مما يجعل الفن المصرى القديم سابقا لجميع الحضارات فى الوصول إلى هذا المستوى التشكيلى البحت، الذى يعتبر الهدف الأول لكثير من مدارس الفن المعاصرة، بالإضافة إلى المضمون الفكرى الذى يتضمنه كل خط وكل سطح).

وحين تكون (الواقعية) فى الفن الإغريقى فردية محدودة غيرها فى الفن المصرى كونية هندسية.

يقول الدكتور أنور شكرى فى كتابه (الفن المصرى القديم).

(لقد مكث الفنان المصرى يمثل الأشياء من أخص مظاهرها دون اعتبار لما يظهر أو يختفى منها لعين الرائى، ولم يشأ أن يسجل المظاهر العارضة والأحداث الزائلة كالظلال المتغيرة، إذ لم يكن يعنيه أن يسجل لحظة معينة من وجهة نظر محدودة، قدر ما كان يعنيه أ ن ينشىء صورة خالدة أقرب إلى الأصل الحقيقى بما تصوره من خصائص ذاتية).

والمؤلف يلتقى معه فى هذا الرأى.

ويقول رينيه ويج: هذا الفن المصرى كان من أوائل الفنون التى جرؤت على التبسيطات الكبرى فى التجسيم.. حتى إن الرسام التكعيبى أندريه لوت، فى سنواته الأخيرة، تأثر تأثرا بالغا بالفن المصرى، وأدرك ما فيه من اتجاهات يحاول الفن الحديث محاكاتها.

وإذا كان المسرح أبا الفنون فإن العمارة أمها.
وقد استوعبت العمارة المصرية فنون مصر التشكيلية كلها.

وفنون مصر القديمة والمسيحية والإسلامية بينها خيط حريرى غير منظور بحيث لاتسقط الأضواء عن قسماتها أبدا.. وإن كانت فنون مصر المسيحية فنوناً شعبية لأن المسيحية فى قرونها الأولى فى مصر لم تكن تحكم أو تملك فهى دين الطبقات الشعبية ثم هناك عامل «التقية» ففنها حبيس الأديرة والكهوف.

وعن **التصوير** فى الإسلام يقول المؤلف إن الأوائل استشعروا الحرج منه لقرب العهد بالأصنام ولكن رجال الدين المعاصرين يبيحون التصوير مادام لايصرف المسلمين عن العقيده أو العمل. وهنا استشهد بقول الإمام الشيخ محمد عبده (يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد التحقق أنه لاخطر منه على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل).

ومثل هذا قال به الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى مقدمة كتبها للمعرض الفنى الرابع لطلاب الأزهر عام ١٩٦٤.

والفنان المسلم حين يتناول عناصر الطبيعة ويفككها إلى عناصر أولية يعيد تركيبها من جديد فى صياغة طروب عذبة يشبه الفن التكعيبى فى العصر الحديث فهو أيضا يقوم على صياغة إيقاعية جديدة للعناصر الطبيعية بعد تحليلها إلى سطوح وأحجام هندسية.

وهنا يقارن الأستاذ أبو صالح الألفى قائلا:

(الفارق بين الفنان المسلم والفنان المعاصر أن الفنان المسلم حقق فاعليته الفنية التى استشعرها فى نفسه تعبيرا عن موقفه إزاء الطبيعة، أما الفنان المعاصر فإنه يعبر عن فلسفة عقلية منطقية والفنان المسلم يقدم لنا فى رقة وأناقة وعذوبة صياغته الجديدة أما الفنان المعاصر فكثيرا ما يقدم لنا أشكالا مشوهة لاتحقق الاستمتاع الجمالى واستشعار العذوبة التى نلمسها فى الفن الإسلامى).

ويلاحظ المؤلف الارتباط بين الفنان المسلم والأسطورة الشعبية فى فنون تشكيله فهو يهوى الأشكال الحيوانية المركبة أو الخرافية على أساس أنها من الممكن أن تكون كذلك وهو فى هذا يسير على هدى الآية الكريمة (ويخلق ما لاتعلمون).

والفنان المسلم فى هذا الصدد لايغيب عنه رموز ألف ليلة وليلة وإحساس المسلم الدائم بوجود الباطن وعدم الاكتفاء بالظواهر من بهرج الحياة.

إنه فى بحثه الدائب والدائم عن أشكال جديدة تثير الخيال يتمثل الآية الكريمة (يزيد فى الخلق ما يشاء)، وعند المؤلف أن الفنون الإسلامية **ابتعدت عن التجسيم.**

ويقول المؤلف بظاهرة هامة تبرز شخصية الفن الإسلامى وهى تقسيم السطح إلى مساحات ذات أشكال هندسية مختلفة وداخل هذه الأشكال يعطى الفنان المسلم لنفسه الحرية فى اختيار الوحدات الزخرفية استمدادا من العناصر النباتية إلى الأشكال الهندسية أو الحيوانية أو الخطية وقد يجتمع فى المساحة الواحدة هذه الأنواع الزخرفية كلها وكثيرا ما يكون الانتقال مفاجئا غير متوقع من عناصر زخرفية ذات طبيعة خاصة إلى عناصر أخرى.

ثم تكلم عن ألوان الخطوط فى الفن الإسلامى ودورها وخطرها فى تحرير الأشكال أو إعطائها بعدا جديدا.

وإنه لمما يثير العجب حقا والإعجاب معا، قدرة الفنان المسلم على الموازنة بين الخط اللين والخط الهندسى فى تآلف عجيب، مع اختلاف طبيعة كل نوع من هذه الخطوط.. الأمر الذى استهوى واستوقف الباحثين والدارسين.

ووقف المؤلف وقفة ليست بالقصيرة عند اللون باعتباره صفة طبيعية من صفات الأشياء.

واللون مرتبط أشد الارتباط بالنور إذ لايمكن رؤية اللون فى الظلام.

واللون يستعمل لذاته قيمة جمالية

وقد **يخدم** الرمز.

يقول جون ديوى (الواقع أن لدى العينين تعطشا للضوء واللون) ويغلب على الفن الإسلامى الألوان الزرقاء والخضراء والذهبية وقد تأثر «ماتيس» بالألوان الإسلامية عند زيارته لشمال افريقية.

وإذا كانت الألوان نقيه فإنها تعبر عن النور والظلمة والفن الإسلامى لايحب الفراغ ولهذا فهو يملأ السطح بالنقوش والنمنمة وهو هنا من أغنى الفنون فى التنوع والوفرة شاهد الحضور على واجهات المبانى أو التحف أو الأعمال التشكيلية المختلفة.. مستغلا القيم اللمسية لسطوح الخامات الطبيعية.. مكونا من هذه كله ايقاعا جميلا يعذب ويحلو على الترديد.

والإيقاع فى الفن الإسلامى يعتمد على **التماثل والتناظر والتبادل** كما يعتمد على الخط اللين والهندسى وتعدد المساحات فى توزيعها وتنوعها ثم يأتى الإيقاع الخطى متراقصا يوحى بالمسرة. ولهذا كان للخطاطين المنزلة الأولى بين الفنانين لاسيما أنهم منوط بهم تحديد الفراغات التى يملؤها الرسام.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول بعد هذا كله إن الفن الإسلامى فن زخرفى وله فى هذا شخصية لاتخطؤها العين، فحين تتشابك قواطع الزوايا وتتزواج الأشكال الهندسية لتحقيق مزيد من الجمال الرصين.. وحين تتجاوز فى وفاق الدوائر المتماسة والجدائل، والخطوط المنكسرة والمتشابكة وينضم إلى الجمع السعيد المثلث والمربع والمعين والمخمس والمسدس، تجد الفنان المسلم والفن الإسلامى.

ويتبادل الخط الهندى والخط المنحنى التطريب والترديد.

يقول الأستاذ بشر فارس:

(وكلا النوعين ينفرش على المهاد ويكسو العصاب ويثب على الإفريز ويتناول العرضى ويهجم على الفراغ وتبلغ به الهمة أن يتعرج حتى فى الأكسية..

تلك نشوة مشت فى الخط تُنبئك أن أفق الغيب المستغلق المؤمن، مشغلة دائمة لذوقه).

ويتكلم الكتاب فى استفاضه عن العناصر المعمارية الإسلامية من مساجد ومآذن وقباب وأعمدة وعقود ومداخل ومقرنصات ثم تكلم عن طرز العمارة فى المساجد الأولى ثم العصر الأموى ثم العصر الأموى المغربى ومميزاته ثم الطراز العباسى ممثلا فى بغداد ومدينة سامرا وقصر الأخيضر والجامع الأزهر باكورة العصر الفاطمى ثم جامع الحاكم وأسوار القاهرة

بعد هذا الطراز الأيوبى والطراز المملوكى ودرته مسجد ومدرسة السلطان حسن.

ثم الطراز السلجوقى والطراز المغولى.
ثم الطراز المغربى الإسبانى.
ثم الطراز الصفوى والطرازى الهندى.
ثم الطرازى التركى العثمانى.

ويتحدث الكتاب حديثا موسعا عن (التصوير والفنون التطبيقية والزخرفية) ومدارسها.

ولما كان (فن الكتاب) من أهم الفنون الإسلامية تحية لأخلد كتاب وهو القرآن الكريم فقد اشتمل هذا الفن على:**الخط والتذهيب والتصوير والتجليد حتى انفرد الفن الإسلامى من بين فنون العالم بالخط الزخرفى الذى استعمل فى أوسع نطاق** وفى جميع المنتجات الفنية.

ووقف الكتاب عن فن النحت وفن الحفر وفن الخزف وفن الفسيفساء وفن شبابيك القلل دانتلا الفخار وقد اختصت مصر بهذا الفن وهى التى **جمعت** فأوعت الفنون الأخرى جميعا.

وتناول الكتاب فن الزجاج والبلور وفن النسيج والأبسطه وهذا كله على امتداد ٣٠٥ ثلاثمائة صفحة وخمس صفحات، يضاف إلى هذا ملزمتان أى ٣٢ صفحة (هما اثنتان وثلاثون صفحة) من اللوحات قربى إلى الله. **الفن الإسلامى** بما أبدع أصحابه وجودوه تشكيليين وكتاباً.